

دراسات خارج الملف

# أزمة الهوية الإسلامية وعلاقتها بالتطرف والإرهاب

بهية سهلي<sup>(١)</sup>

منذ أوائل السبعينيات، برزت ظاهرة التطرف، والإرهاب باسم الدين في العالم الإسلامي بشكل مهول، نظرًا لتزايد المنظمات والجماعات، التي تريد تأكيد رأيها وتوجهها، وتحقيق أهدافها في المجتمع بلغة العنف. والغريب في الأمر انطلاق هذه المنظمات والجماعات والتيارات من فكرة واحدة وهي: ضرورة إصلاح المجتمع من خلال إرجاعه **(بالقوة)** لهوية الدين الإسلامي، كما لو أن المجتمع الذي نعيش فيه هو مجتمع بلا هوية، أو له هوية غير إسلامية.

والأغرب من هذا الأمر، نجد المناوشات بين هذه المنظمات نفسها، بل وتكفير بعضها بعضًا، فيبقى السؤال الذي يتبادر في ذهن كل مسلم، هل نعيش أزمة الهوية في مجتمعنا الإسلامي، لكي تأتي هذه الجماعات لترجعها لنا؟ إن كان الجواب بالإيجاب، فما الهوية التي يعيشتها مجتمعنا اليوم؟ أما إذا كان الجواب بالنفي، فلماذا ظهرت هذه الجماعات والتيارات؟ فهذان الإشكالات يمكن الإجابة عنهما من خلال طرح السؤالين التاليين:

ما هوية الأمة الإسلامية؟ وما علاقتها بالتطرف والإرهاب؟

حينما نتحدث عن هوية الفرد، نكون قد تحدثنا عن ماهيته وكيانه، وموقعه في هذا الكون؛ إذ الهوية التي يتشبع بها

**الاتجاه الاجتماعي: «عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية»<sup>(٥)</sup>.**

**الاتجاه الإسلامي:** تنحو الكتابات الإسلامية في تعريف الهوية، إلى تعريفها حسب السياق الإسلامي، شأن التخصصات المذكورة آنفًا، التي عرفت الهوية حسب تخصصها، مما يجعلنا نختار تعريفًا إسلاميًا لهذا المفهوم، من خلال طرح تعريف خليل نوري مسيهر العاني بقوله: «فإذا أردنا أن نعطي تعريفًا عامًا لهذه الهوية، فإننا نستطيع أن نقول إنها تعني: الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي أيضًا محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم، وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة»<sup>(٦)</sup>.

وهذه التعريفات التي أدرجناها حسب تشعبات دراستنا، يظهر أنها التقت في مجموعة من الأمور وهي:

لا يمكن أن نتحدث عن فرد ما، أو أمة، دون

(٥) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٧م، (ص/١٨٥).

(٦) خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني ٢٠٠٩ الطبعة الأولى، (ص/٤٥).

الإنسان، هي التي تترجم لنا كيانه وماهيته الحقيقية، فإذا كان هذا الأمر بالنسبة للفرد، فكيف سيكون بالنسبة للأمة بأكملها؟

## المبحث الأول هوية الأمة الإسلامية

### المطلب الأول مفهوم هوية الأمة الإسلامية

#### مفهوم الهوية:

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم التي لقت عناية خاصة في جميع المجالات العلمية؛ مما جعل تعريفها يختلف من علم لآخر حسب طريقة تناولها له، فإذا كان التعريف اللغوي للهوية هو: «هوية أراد أهوية فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء... وفي الحديث: إذا عرستم فاجتنبوا هوي الأرض، وهي جمع هوة، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض»<sup>(٧)</sup>، فبعض الاتجاهات عرفت الهوية بـ:

**الاتجاه الفلسفي: «حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضًا وحدة الذات»<sup>(٨)</sup>.**

**الاتجاه النفسي: «كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغيير»<sup>(٩)</sup>.**

(٧) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، لبنان بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، دن، (٣٧٦/١٥).

(٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٧٩م، (ص/٢٠٨).

(٩) فاخرعاقل، معجم على النفس، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، (ص/٥٥).

الإسلام خاصة: كما ورد في قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران ١١٠].

فهذه المعاني التي ذكرها القرآن الكريم، وغيرها تبين لنا أن الأمة تطلق على الجماعة، التي اشتركت في مرجعية و(منهج) معين، وهذا حال المسلمين الذين اعتبرهم القرآن الكريم أمة واحدة؛ نظرًا لاشتراكهم في الملة الإسلامية، كما يقول خالد السعيد في هذا الصدد: «وفي إطار هذا النسق الدلالي المفصل، ترد آيات القرآن الكريم التي تخاطب المسلمين باعتبارهم أمة: (وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة ١٤٣]، والتي تبين أن الانتماء لأمة المسلمين إنما يأتي نتيجة لموقف يختاره الناس اختياريًا (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة ١٢٥].

فالانتماء لأمة المسلمين هو بالأساس:

**انتماء ديني، وليس انتسابًا عرقيًا** (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة ١٢٥]، إذ إن تمييز أمة المسلمين بالإسلام، لا يكون امتيازًا إلا عند العمل بما يتطلبه الإسلام، (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران ١١٠]، ويزداد وضوح

أن نستحضر حقيقتها المتمثلة في هويتها التي ستنعكس عليها بالضرورة في أقوالها وأفعالها وظاهرها.

الهوية التي تميز الفرد أو الأمة، لا بد لها من مرجعية تقوم عليها.

الهوية تختلف من شخص لآخر أو من أمة لأخرى حسب المرجعية التي تنطلق منها.

وبالتالي: الهوية هي مجموعة من المبادئ والقيم المنبثقة من مرجعية ينتمي إليها الفرد، والخبرات والتجارب التي ورثها، وعاشها، وقام بإدماجها في مفاهيمه، وقيمه.

### مفهوم الأمة الإسلامية:

أول من عرف مصطلح الأمة بالمفهوم المتداول اليوم، هو القرآن الكريم، في العديد من الآيات الكريمة، حيث بلغ عدد تكرار لفظة (أمة) نحو سبع وأربعين مرة، ووردت على سبعة معانٍ، منها:

(١) الجماعة من الناس: كما في قوله تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [البقرة ١٢٥]

(٢) الشريعة والطريقة والمنهج: كما في قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) [الزخرف ٢٣]

(٣) أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل

لها هوية واحدة متمثلة في المنهج والمنهاج اللذين أتى بهما الدين الإسلامي لاتباعهما دينياً ودينيوياً؛ لتحقيق مقصد الله تعالى، لماذا ظهرت الجماعات المتطرفة وتباينت في دعاوها رغم انطلاقها من هدف واحد، وهو ترسيخ هوية الإسلام في المسلمين شكلاً ومضموناً؟

فجواب هذا السؤال يكمن في معرفة الأسس التي تشكلت بها الهوية الإسلامية لأمتنا، والرجوع زمنياً إلى نقطة تشكل الفرق التي كانت بذرة هذه الانقسامات.

## المطلب الثاني أسس تشكل الهوية الإسلامية

من خلال النظر في تعريف الهوية حسب الفكر الإسلامي، وتعريف الأمة الإسلامية وعوامل تشكلها، يمكن القول بأن الأسس التي تشكلت بفعلها هذه الهوية تتجلى فيما يلي:

**التراث العقدي:** من خلال النظر في التراث المؤلف أصالة في العلوم الشرعية التعبديّة، نجدتها تلتقي في هدف واحد وهو ترسيخ العقيدة الإسلامية.

**التراث التاريخي:** ونقصد به التجارب والخبرات المشتركة، أي المخزون الثقافي المشترك الذي يزرع به ذهن المسلم، من خلال معرفته كيف كانت الحياة قبل الإسلام، وكيف جاء الإسلام ولمن جاء، والعراقيل التي

مناطق هذا الانتماء لأمة الإسلام، عندما يجعل القرآن الفلاح صفة مميزة لأمة معينة من أمة الإسلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران ١٥١]،<sup>(٧)</sup> فهذا النص يظهر المرجعية التي تتحدد على أساسها الأمة، وهي المرجعية الدينية، التي تتخطى الحدود الزمانية والمكانية، والعرقية، للجماعات، وبالتالي: «يكون المسلمون حيثما وجدوا أمة واحدة هي أمة الإسلام، وأبناء ملة واحدة يجمع بينهم انتماءهم الديني إلى الإسلام، وذلك بصرف النظر عن جنسهم أو أعراقهم أو ألوانهم أو لغاتهم...، كما أن الأغلبية الساحقة من أبناء أمة الإسلام المجتمعية العربية كانت ولا تزال وستبقى جزءاً من الأمة الإسلامية، إذ تشترك كثير من الأمم المجتمعية في انتمائها للحضارة الإسلامية، فلأن الإسلام كان عاملاً أصيلاً من عوامل تكون مجتمعاتها، وفي هذا تشترك أمم الإسلام المجتمعية العربية والفارسية والتركية والإندونيسية والبنغالية والبنجابية وغيرها من أمم الإسلام المجتمعية»<sup>(٨)</sup>، فالأمة الإسلامية بهذه الصورة التي طرحها خالد الحسن، ومقارنة حيثياتها مع التراث الإسلامي المتقدم (أي بعد ظهور الفرق الإسلامية) يجعلنا نطرح السؤال التالي: إذا كانت الأمة الإسلامية

(٧) سعيد خالد الحسن، مدخل نظرية القيم (المدرجات الجماعية)، المغرب مركز الدراسات والأبحاث مؤسسة خالد الحسن مطبعة الكرامة الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، (ص/٤٥)، (٤٦).

(٨) سعيد خالد الحسن، مدخل نظرية القيم (المدرجات الجماعية)، مرجع سابق، (ص/٤٦).

اختلاف مفض للنزاع عليه، لكن بعد فترة من الزمن بدأت تظهر الإرهاصات الأولى لبزوغ فجر الفرق والمذاهب؛ نظرًا لإنكار قوم على خلافة عثمان بن عفان، مما أفضى إلى مقتله. إذ سبب هذا الخلاف الذي حصل بعد ست سنوات من خلافة عثمان رضي الله عنه ترجع لأمر سياسي تتعلق بتسيير الحكم، حيث ادّعى أن عثمان رضي الله عنه كان يوثر أقرباءه على من سواهم في تسيير شؤون المسلمين، وغض الطرف عن محاسبة أقربائه مقارنة بمحاسبة المسلمين، وغيرها من التهم التي رموا بها عثمان بن عفان، فكانت الشرارة الأولى التي لاحت راية التفرقة بين المسلمين في الأفق، خاصة بعدما بايع بعض المسلمين عليًا رضي الله عنه، ورفض معاوية بن أبي سفيان لهذه البيعة، ومطالبته بدم عثمان بن عفان، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم كالزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله..

فأدى هذا الأمر إلى مواجهات دامية بين المسلمين، أبرزها واقعة صفين بين علي ومعاوية، بسبب رفض معاوية بن أبي سفيان مبايعة علي رضي الله عنه، واختلاف الرأي بينهما، مما أوقد نار هذه الواقعة.

ومن الكوارث التي أجمت نار الفرقة بين المسلمين، حينما ظهرت بوادر النصر لجيش علي رضي الله عنه، فلجأ جيش معاوية إلى حيلة رفع المصاحف على الأسنة والدعوة إلى الاحتكام

اعترضته في أثناء انتشاره، فهذه البصمة الثقافية الأولى التي يتشبع بها كل مسلم، يجعلهم ضمنيًا لهم تجارب وخبرات مشتركة، بل أدت هذه البصمة إلى إشراكهم في قضايا مهمة، مثل قضية تحرير فلسطين المحتلة.

**التراث الاجتماعي:** رغم انتشار المسلمين كجماعات في بقاع الأرض، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، نجدهم يحضون بالقيم نفسها؛ نظرًا لاستمداها من العقيدة الإسلامية.

فهذه الأسس المذكورة تنطلق من المرجعية الإسلامية الأم، أي المرجعية الأولى التي كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، إذ كانت لهم مرجعية واحدة متمثلة في الكتاب وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك اختلاف يفضي إلى النزاع والافتراق بين هؤلاء الصحابة، وإذا وجد فقد كان اختلافًا محمودًا ناتجًا عن اجتهادهم ومقاصدهم الموحدة، وخير دليل على هذا المقصد نجد مسألة جمع القرآن الكريم وحفظه، وحسمهم في اختلافاتهم في بعض المسائل الحساسة، كمسألة الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أجمعوا على أن الخليفة المناسب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لاعتبارات وضعوها نصب أعينهم، وكذلك الحال في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك في الشطر الأول من خلافة عثمان بن عفان، لم يكن هناك

**والثاني:** ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، قالوا: ومن خاف العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام، قبل قيام الحجة عليه فهو كافر»<sup>(٩)</sup>.

ثم مذهب الصفرية، الذين لم «يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم، وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل، وهذا المذهب رغم انقسامه عن الفرقة الأم، إلا أنه يختلف معها في بعض الأمور كما يظهر في مبادئه، والأمر نفسه بالنسبة للمذاهب الأخرى، نتيجة تأثرهم بالعامل السياسي والتعصب في اجتهاداتهم وتوجيهاتهم لها حسب خلفيتهم السياسية.

## مرجعيتهم التشريعية

من خلال استقراء الآراء التي أتى بها كل مذهب من مذاهب فرقة الخوارج، يتضح أنهم اتفقوا على هذه المسائل، كمرجعية عقديّة وتشريعية بالنسبة لهم:

(١) الحكم لله تعالى وحده.

(٢) الإمامة: ألا تقصر على قبيلة معينة، وإنما تكون باختيار الشعب، يختارون من يروه مناسبًا متصفاً بالعدل.

(٣) تكفير مرتكب الكبيرة.

بكتاب الله تعالى، فانخدع بعض جيش علي رغم تحذير علي رضي الله عنه منها، وهم القراء أو الخوارج فيما بعد، إذ قبلوا الهدنة، فضغط على علي رضي الله عنه لقبول التحكيم، لكن بعد بداية هذه الهدنة، ظهر بعض المخالفين لها من جيش علي، فأعلنوا العصيان والخروج، وكفروا عليًا رضي الله عنه ومن أيده.

فكانت أول فرقة ظهرت في الساحة الإسلامية،

## فرقة الخوارج

وعقيدتهم: **(لا حكم لأحد إلا لله تعالى)**، مما جعلهم يكفرون عليًا لقبوله التحكيم، وسفك دماء كل من خالفهم في هذا المعتقد، وجوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، والخروج على الإمام الجائر.

ومن المذاهب التي انقسمت عن هذه الفرقة، نجد الأزارقة الذين كفروا عليًا وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين وتخليدهم في النار، وأباحوا قتل أطفال المخالفين والنسوان، ثم مذهب النجدات أو النجدية، الذين قالوا: الدين أمران:

«**أحدهما:** معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام، وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، والجهل به لا يعذر فيه.

(٩) سعيد خالد الحسن، مدخل نظرية القيم (المدرجات الجماعية)، مرجع سابق (ص/٥٥).

يطلق عليه آية الله العظمى التدخل في المسائل السياسية والاجتماعية للمجتمع الشيعي.

كما يجمعون على وجوب التعيين والتنصيب على الإمام، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبار والصغائر، كما قالوا بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا إلا في حال التقية، ونرى الملاحظة نفسها عن هذه المرجعية، وهي انطلاق أصحابها من الاجتهاد والتأويل إلى جانب ظهور معالم التعصب المذهبي، وتأثير السياسية في صياغة مرجعيتهم.

## فرقة أهل السنة والجماعة

هي الفرقة التي اتبعت كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والسائرين على نهجه ونهج صحابته الكرام، دون التمييز بينهم، وسُمّوا أهل السنة؛ لاتباعهم سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما تسميتهم بالجماعة لعدم تفرقهم في الدين، واجتماعهم على الحق.

## مرجعيتهم التشريعية:

تتجلى مرجعيتهم الدينية العقدية في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف الصالح، والتسليم لله وللرسول صلى الله عليه وسلم كل ما ثبت بالنصوص القطعية الدلالة.

ومن الفرق التي ظهرت كذلك، نجد

## فرقة الشيعة

الذين «شايعوا عليًا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصًّا، إما جليًّا أو خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده... وهم خمس فرق، كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة الإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه»<sup>(١)</sup>، فالكيسانية يقولون إن الدين طاعة رجل، ويعتمدون على التأويل في صياغة الأحكام الشرعية، مثل أركان الإسلام، أما الزيدية فقد ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، لكن جوزوا أن يكون كل فاطمي عالمًا زاهدًا شجاعًا سخيا، خرج بالإمامة، يكون إمامًا واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين.

## مرجعيتهم التشريعية:

من خلال عرض آرائهم الدينية، وما ذكره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، يتضح أنهم يرجعون لمعرفة الأحكام الشرعية، إلى من بلغ رتبة الاجتهاد والأعلمية في استنباط الأحكام الشرعية، بل يمكن لهذا الإمام الذي

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٩٩٢م، (ص/١٤٤، ١٤٥).



## مقارنة المرجعيات التشريعية للفرق الإسلامية

### ٣- العامل الذاتي:

من الأسباب التي أدت إلى تأجج التفرقة بين المسلمين، تباين المنهج والهدف الحقيقي من وراء هذه التفرقة، إذ كانت العصبية القبلية، والفكرية والسياسية بالدرجة الأولى هي المتحكمة في هذه التفرقة من جهة، ومن جهة ثانية كانت نية الإصلاح التي كانت ترجوها؛ العودة لأحكام الشريعة، أسيرة توجهاتهم وتمثلاتهم الجديدة، مما أعاق تحقيق هذا الهدف، وأنتجت لهم مرجعيات خاصة بهم، رغم انطلاقهم من نواة واحدة، وهي نواة الإسلام الأولى؛ عقيدة القرآن الذي به بنيت الشريعة، وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، التي كانت مؤكدة ومبينة لها، مما أثر بشكل جلي في هوياتهم، ما يجعلنا نقول: إن الهوية الإسلامية بعد ظهور الانقسامات، ليست قولاً صريحاً مطلقاً للهوية الأولى التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هوية تقدم في قالب مذهب ما.

### المطلب الثالث

## انعكاس أزمة هوية الأمة الإسلامية (اضطراب المدركات الجماعية، وظهور الإرهاب)

إذا كانت الجذور الأولى لأزمة الهوية الإسلامية تنطلق من ظهور الفرق، فقد زاد من تعميق هذه الأزمة ظهور ثورة عالمية من حيث تواصل

هذه المرجعيات التشريعية لكل فرقة انطلقت من المرجعية العقدية الأولى، لكنها اختلفت فيما بينها؛ نتيجة العوامل التالية:

### ١- العامل السياسي:

حب السلطة والحكم كان عاملاً أساسياً للتعصب المذهبي، وإحداث مرجعية تشريعية خاصة بها، كوسيلة لتحقيق مآربها، ونصرة مذهبها، وصياغة الأحكام لصالحها.

### ٢- العامل العلمي والثقافي:

- الجهل بأمور الدين، أدى ببعض الفرق إلى التناول على النصوص الشرعية، وتأويلها حسب أهوائهم.

- اتباع المتشابه من القرآن الكريم، ومحاولة استنطاقه دون علم أو منهج صحيح، مما أدى إلى ظهور بعض الفرق والزيادة من حدة التعصب.

- تأثر المسلمين بالفلسفة وإسقاطها على الأصول الدينية، أدى إلى ظهور بعض الفرق التي حاولت أن تطوع الشريعة لصالح الفلسفة، مما أدى بهذه الفرق إلى التكاثر بنية دفاع كل واحدة منها عن الدين الإسلامي، وفي الأخير حصلت أزمة التعصب والتراشق الفكري بينهم.

**العولمة)،** وإن كان في ظاهره منسجماً، وجعل مسيرة الفكر الفرقي يواصل مضيه نحو تحقيق حلم تأسيس المجتمع الإسلامي النموذجي، من خلال ظهور جماعات إصلاحية تنطلق من الفكرة نفسها التي تنطلق منها الشريعة الإسلامية، وهي أسلمة جميع مناحي حياة الفرد المسلم، أي لا يجب حصر الدين الإسلامي في الشعائر التعبدية فقط، بل يجب أن يكون حاضرًا في جميع المجالات، فكان لهذه الرؤيا التي أتت بها هذه الجماعات الإسلامية المعاصرة حظو جماهيري بريء، خاصة بعد تفشي الظلم، والاستبداد في الحكم، وظهور الطبقة المجتمعية، وضعف القيم، واختلاطها بالقيم الغربية، ووعي المجتمع الإسلامي في داخله بضرورة إصلاح نفسه؛ إذ يعلم مدى تضرر هويته الحقيقية، عن طريق المقارنة التي يقوم بها بين ماضيه وحاضره، سهل انتشارها، وحمّس بعض الشباب المسلم للانتماء إليها، لكن بعد ظهور هذه الجماعات الإسلامية الإصلاحية، انقسمت إلى قسمين:

#### (أ) الجماعات الإسلامية الإصلاحية

**المعتدلة:** وهي جماعات رأت ضرورة إصلاح المجتمع المسلم بشكل **تدرجي** دون اللجوء للعنف، واعتمدت على الخطابات الدعوية بكل صورها؛ ليقينها بعمق الهوية التي يعيشها المجتمع الإسلامي بين ماضيه وحاضره، سواء من ناحية هويته، أو من ناحية التحديات التي يعيشها، ومحاولة تقريبها المبادئ المشتركة بين جميع الفرق والتيارات الإسلامية، لإعداد

الحضارات فيما بينها وتلاقحها، ورسوخ قدم العولمة، التي تروم إشراك القيم المجتمعية في العالم، مما جعل الهوية الإسلامية ترى أزمة أخرى، وهي غياب **صورة المسلم النموذج**، في ظل هذا الحراك الذي يعرفه العالم، مما أدى إلى ظهور تيارات تدعو إلى مواكبة العالم بشكلًا ومضمونًا مع الحفاظ على الهوية الإسلامية بمفهومها الضيق (**المذهبية**)، وتيارات أخرى شددت على ضرورة عدم الانصهار في هذا العالم، وبين هذا وذاك ظهرت عصبية أخرى، وهي عصبية تمظهر الدين، فكل تيار صار له نموذج الخاص عن الذات المسلمة، كيف ينبغي أن تكون قلبًا وقالبًا.

كما أدى تأثير قيم العالم الإسلامي بالقيم العالمية التي أحدثتها العولمة، وفرضتها على المجتمعات الإسلامية عن طريق الإعلام، وتعدد الهويات الإسلامية (**المذهبية**)، إلى بروز النمط السائد في المجتمع المسلم اليوم (**تنوع مظاهر الدين للأفراد**).

ما دفع المجتمع الإسلامي إلى التفكك داخليًا بفعل هذه التناقضات (**جهود التيارات في ترسيخ صورة المسلم النموذج من جهة، ومن جهة أخرى فرض قيم العولمة على المجتمع المسلم، مما جعله يجتهد في خلق نماذجه؛ ليوازن بين ما جاء به دينه من قيم وأخلاق، وبين ما فرضت عليه**

لطبيعتهم السيكولوجية الباحثة عن معرفة الذات وهويتها، وخير مثال على حدة أزمة الهوية للمسلمين في الدول الغربية، ما ذكرته الإحصائيات الأخيرة عن مقاتلي داعش،

ذكر آخر تقرير أوردته المركز الدولي لدراسة التطرف والعنف السياسي ICSR<sup>(11)</sup> أن الدول الغربية بلغت الصدارة في تصدير المقاتلين إلى داعش،

حيث صدر ١٤ بلدًا من أوروبا الغربية نحو ٤٠٠ مقاتل، وهو ضعف الرقم الذي قدمه التقرير السابق عن عدد المقاتلين الغربيين في داعش سنة ٢٠١٣، كما أورد التقرير الإحصائيات التالية عن البلدان الغربية لهؤلاء المقاتلين، فقد بلغ عدد المقاتلين النازحين من فرنسا إلى داعش نحو ١٢٠٠ فرنسي، وألمانيا نحو ٦٠٠، والمملكة المتحدة نحو ٥٠٠-٦٠٠ كذلك، كما أشار إلى ارتفاع نسبة نزوح المقاتلين من بريطانيا وبلجيكا ونيوزيلندا، والسويد، وفنلندا والدنمارك والنرويج، مما يجعلنا نطرح سؤالاً حول هؤلاء المقاتلين، وهو: هؤلاء المقاتلون أبناء البلدان الغربية (أي مسلمون جدد) أم أبناء الجالية المسلمة؟ وهذا السؤال يجرننا لسؤال آخر، وهو: لماذا هذه البلدان دون غيرها من البلدان الأوروبية صدرت هؤلاء المقاتلين؟

المجتمع المسلم الموحد، من خلال تركيزها على أهم المبادئ الدينية التي أتت بها الشريعة الإسلامية، دون الدخول في بعض التفاصيل التي اختلفت فيها هذه الفرق، والابتعاد ما أمكن عن التدخلات السياسية.

### (٢) الجماعات الإسلامية المتطرفة:

هذا القسم من الجماعات رأى أن: الإصلاح لا يكون إلا من خلال إحداث طفرة في المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال تغيير أوضاع المجتمع بالقوة، بذريعة فريضة الجهاد، منطلقين بذلك من فتاوى وتفسيرات للنصوص الدينية ذات طبيعة عصبية منطلقة من مرجعيتهم التشريعية.

كما أدى اضطراب هذه المدركات الجماعية للمجتمع الإسلامي بفعل أزمة هويته إلى معاناة المجتمع المسلم الموجود في البلدان الغربية، إذ عانوا ضعفين من أزمة الهوية، فقد أصبحوا بين أزمة هويتهم الإسلامية التي ورثوها، وفرض المجتمع الغربي هويته وقيمه عليهم، مما جعل بعضهم يحاول التعايش مع هذا الوضع، من خلال احتفاظه بهويته التعبديّة من جهة، والتأقلم مع المجتمع الغربي بشكل متحفظ من جهة أخرى، لكن طبيعة التنوع الفكري والسيكولوجي للذات الإنسانية جعل بعض المسلمين الغربيين يرفضون هذا التأقلم، مما سهل عملية تشكل الجماعات الإرهابية في الوسط الغربي، واستقطاب بعض المسلمين الناقمين على هذا الوضع، خاصة فئة المراهقين والشباب،

(11) <http://icsr.info/2015/01/foreign-fighter-total-syriairaq-now-exceeds-20000-surpasses-afghanistan-conflict-1980s/>

## المبحث الثاني مفهوم التطرف والإرهاب وأسبابهما

### المطلب الأول مفهوم التطرف والإرهاب والعلاقة بينهما

#### مفهوم التطرف:

عرفه المجمع اللغوي: «التطرف في اللغة كلمة مشتقة من الطرف بمعنى الناحية، أو الطائفة من الشيء، وتطرف فلان أي أتى الطرف، وفي المسألة جاوز فيها حد الاعتدال»<sup>(١٢)</sup>، وعرف محمد ياسر خوجة التطرف بقوله: «ويرتبط التطرف بالعديد من المصطلحات، منها الدوجماطيقية والتعصب، إن التطرف وفقاً للتعريفات العلمية يرتبط بالكلمة الإنجليزية dogmatism، أي الجمود العقائدي والانغلاق العقلي، والتطرف بهذا المعنى هو أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها»<sup>(١٣)</sup>. أي يمكن القول بأن: التطرف يعبر عن الخروج عن القواعد الاجتماعية والفكرية والقيمة لمجتمع ما، وتبني قواعد خاصة، يصل الدفاع

إن الجواب عن السؤال الأول المتمثل في نوع إسلام هؤلاء المقاتلين، يجعلنا نسلط الضوء على أهمية النظر في كيفية الدعوة الإسلامية للأجانب، لمعالجة إشكالية أزمة الهوية الإسلامية، والحد من التطرف والإرهاب في صفوفهم.

وكذلك الإقرار بأن الإشكال ليس في نوع إسلامهم (مسلم جديد أو مسلم مهاجر)، وإنما في الهوية التي أصبحت لهم في ظل تحدياتهم مع مجتمعهم الغربي.

أما الجواب الثاني فيقودنا إلى استحضار السياق السياسي والاجتماعي الذي تنهجه هذه الدول مع المسلمين، فالملاحظ على هذه الإحصائية أن الدول الغربية التي صدرت المقاتلين إلى داعش تميزت بكثرة المسلمين في مجتمعها، مما أدى بها إلى معرفة بعض المشكلات الاجتماعية على رأسها العنصرية، وتصادم الثقافات، واعتبار الجيل الجديد من المسلمين في هذه البلدان الغربية مواطنين شأنهم شأن الغربيين؛ نظراً لمولدهم ونشأتهم فيها، مما يجعلهم يطالبون بالحقوق والواجبات أنفُسهما.

وبالتالي، لم تنعكس أزمة الهوية على المجتمعات الإسلامية في الدول الإسلامية فقط، بل انعكست على جميع المسلمين؛ مما أدى إلى تفشي ظاهرة التطرف والإرهاب في كل مكان.

(١٢) مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥م، (ص/٥٧٢).

(١٣) محمد ياسر الخوجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (د.ن)، (ص/٤).

التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية، لكن في عصرنا الحالي، ظهرت عوامل أخرى إلى جانب تلك التي ذكرناها، وهي:

## 1- العوامل السياسية:

عدم الرضا السياسي السائد في بلد ما يؤدي إلى تطرف بعض الجماعات الإسلامية؛ فتريد تنحية حكامها عن مكانهم بهدف أن الحكم لله تعالى، وأن هذه السياسة تحكم بغير شرع الله، وكذلك الرغبة في التصدر للحكم بهدف إصلاح ذلك المجتمع الإسلامي، حسبما ذكره محمد ياسر الخواجة في حديثه عن الجماعات الإسلامية التي كانت موجودة بمصر، نقلاً عن باحثين آخرين بقوله: «إن من أسباب انتشار الجماعات الإسلامية عدم رضاها للسياسات الناصرية والساداتية ورفضها مما يوضح رفض الجماعات وعدم اقتناعها بالدور السياسي والديني لمؤسسات المجتمع، وينتج هذا الرفض من عدم وجود مكان لهذه الجماعات داخل مؤسسات المجتمع، فرفض الجماعات الإسلامية للناصرية والساداتية لا يعني فقط وجود اختلاف أيديولوجي بينهما وبين هذه السياسات، ولكنه يعني فشل هذه الجماعات في اكتشاف ذاتها من خلال هذا الفكر. فالفكر السياسي المطروح على الساحة لا يجذبها ولا يحقق لها الإشباع والرضا، ولا يحقق لها المكانة والدور والفعالية؛ ولهذا تبحث عن بدائل أخرى،

عنها وفرضها على المجتمع بلغة العنف، وهذا التعريف يظهر تدخل العامل النفسي والاجتماعي في تكوين شخصية المتطرف كما سنرى.

## مفهوم الإرهاب:

عرفته الاتفاقية العربية بقولها: «الإرهاب: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيًا كانت دوافعه أو أغراضه، يقع تنفيذه لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم وأمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك (العامة والخاصة) أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر»<sup>(١٤)</sup>.

من خلال هذه التعريفات يظهر أن الإرهاب هو بداية انعطاف التطور إلى نفق العنف، وبالتالي يمكن القول: ليس كل متطرف إرهابياً، ولكن كل إرهابي متطرف.

## المطلب الثاني أسباب التطرف والإرهاب

إن الحديث عن الأسباب والعوامل المؤدية للتطرف والإرهاب عند بعض الجماعات الإسلامية في ظل أزمة هويتها، يجعلنا نكرر ما عرضناه في المبحث الأول عن العوامل

(١٤) المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب.

**عمارة»** إلى المناداة بالتطبيق الفوري لجزئيات الشريعة الإسلامية، بدلاً من التطبيق المتدرج للعموميات. مما يعني تفاعل الجماعة مع المجتمع من خلال العناصر المحددة، فهي تريد تنفيذ الحدود، ولكنها تنادي بالقدر نفسه بتنفيذ الفكر العام الإسلامي، وهو ما يؤكد وجود انعزال فكري بين الجماعات الإسلامية والمجتمع، ويؤكد هذا أيضًا وجود تعارض داخل فكر الجماعات الإسلامية نفسها، فهي في أفكارها العامة شديدة المثالية والتجريد بقدر يعدها تمامًا عن الواقع، وفي مطالباتها الاجتماعية والسياسية تركز على الجزئيات تركيزًا شديدًا يفقد هذه الجزئيات معناها، فمثلًا تركز الجماعة الإسلامية على ارتداء الحجاب أكثر من تركيزها على المعاني والمفاهيم التي يعينها ارتداء الحجاب، مما يدل على وجود انقسام وتعارض داخل فكر الجماعة الإسلامية، فهي تتبنى أفكارًا مجردة وتحاول تنفيذ أشياء شديدة العيانية، وفي انتقالها بين التجريد والعيانية تحاول ربط وجودها، فأفكارها العامة تفصلها عن واقعية التنفيذ<sup>(١٦)</sup>، فهذه الحالة الفكرية السيكوسوسيولوجية التي تعيشها الجماعة المتطرفة كانت نتيجة أزمة الهوية التي تحدثنا عنها سابقًا، والتي أدت إلى ضعف وتشويه المدركات الجماعية، إذ الجماعات الإسلامية في حقيقتها جماعات نبتت من رحم الأزمة التي تحدثنا عنها، وبالتالي فهي تعيش التصدع والصراع الداخلي أنفسهما.

**متجهة إلى المؤسسة الدينية، فلا تجد ما يجذبها ويحقق لها المكانة والرضا؛ فتلجأ إلى الانعزال عن المجتمع»<sup>(١٥)</sup>**، فهذا التحليل الذي يبين دور العامل السياسي في تطرف بعض الجماعات الإسلامية وإعلانها للإرهاب، يجعلنا نتساءل ما سبب تطرف هذه الجماعة دون الجماعة الأخرى؟

## ٢- العوامل الاجتماعية:

لقد أشرنا إلى هذا العامل، وطلناه، عندما تحدثنا عن آثار أزمة الهوية الاجتماعية على المدركات الجماعية للأمة، والتغير السريع الذي يحدث للمجتمع الإسلامي بفعل اندماجه قهراً أو رضائياً في منظومة العولمة، واضطراب صورة المسلم النموذج القدوة، في فكر شباب اليوم على وجه الخصوص، فهي عوامل أسهمت في ظهور الأفكار المتطرفة التي تبنتها الجماعات، إذ نرى كل جماعة صارت تبني نموذجها الخاص عن كيف ينبغي أن يكون الشخص والمجتمع المسلم، وهنا نورد الحالة السيكوسوسيولوجية التي تربط الجماعة الإسلامية بالمجتمع الذي تنتمي إليه، من خلال ذكر ما قاله محمد ياسر خواجه: **«فالجماعة الإسلامية في تفاعلها مع المجتمع تركز على الجزئيات، فهي الرابطة التي تربطها بالواقع، وتعفيها من الدخول في حوار فكري عميق، لهذا تلجأ الجماعات الإسلامية كما يرى محمد**

(١٦) محمد ياسر الخواجه، التطرف الديني ومظاهره، مرجع سابق، (ص/١٣، ١٤).

(١٥) محمد ياسر الخواجه، التطرف الديني ومظاهره، مرجع سابق، (ص/١٢، ١٣).

### ٣- العوامل الاقتصادية والثقافية:

لا شك أن البطالة التي تتفشى في صفوف شباب المجتمع المسلم، والفقر بشتى أنواعه، وظهور الطبقة في المجتمع الإسلامي، مع الشعور بالمظلومية، أسهموا في تعزيز التطرف والإرهاب للجماعات، كما أدت أزمة القراءة التي يعيشها المجتمع الإسلامي الراهن، وانتشار الكتب والفتاوى والخطابات المتعصبة، التي نتجت عن الفرق الإسلامية الأولى، إلى جانب المعنى الضيق الذي لصق بالدين، أسهمت في بناء هذه الجماعات المتطرفة واستقطاب الشباب قليلي المعرفة بدينهم.

وختامًا لهذا المطلب، يظهر أن المتطرفين إلى جانب هذه العوامل التي تدفعهم للإرهاب، لهم سيكولوجية خاصة بهم.

### المبحث الثالث الذات المتطرفة الإرهابية

امتدادًا لما تطرقنا إليه سابقًا في دراستنا لهوية الأمة الإسلامية وأزمتها، وتفشي ظاهرة الجماعات الإسلامية المتطرفة الإرهابية، نطرح السؤال التالي: لماذا الشخص (أ) انتمى للجماعة، والشخص (ب) لم ينتم لها؟ رغم مرورهما بالعوامل نفسها التي تحدثنا عنها سابقًا؟ أو لماذا لم يصبح المجتمع الإسلامي كله مجتمعًا إرهابيًا ما دام يتعايش مع العوامل والظروف أنفسهما اللذين تحدثنا عنهما؟

هذا السؤال كان محط اهتمام للباحثين على اختلاف تخصصاتهم، خاصة باحثي علم النفس والسيكولوجيا، اللذين بذلوا وسعهما في دراسة هذه الظاهرة، انطلاقًا من تحليل بعض الدراسات الميدانية التي أقيمت على عينة من المتطرفين، ومن هنا سنحاول استثمار نتائج الدراسات التي جمعناها من كتب بعض الباحثين السوسيولوجيين والنفسيين، لدراسة قضيتنا.

### الطبيعة السيكولوجيا للفئة المنتمية للجماعة الإرهابية:

نقل محمد ياسر خوجة، دراسة عن الفئات العمرية التي تنتمي للجماعات المتطرفة الإرهابية أجراها سعد الدين إبراهيم حول جماعتين إرهابيتين، فتوصل إلى ما يلي:

أعمار أعضاء كلا الجماعتين يتراوح بين ١٨ و٣٧ سنة بالنسبة للجماعة الأولى، أما الجماعة الثانية فكانت أعمار أعضائها تتراوح بين ١٤ و٣٩ سنة، وإلى جانب هذه الدراسة من حيث الفئة العمرية، ذكر دراسة أخرى عرضها عادل حمودة في كتابه اغتيال رئيس، إذ وجد أعمال أعضاء جماعة إرهابية أخرى كانت تتراوح بين ٢٤ و٢٩، فكلا الدراستين تدل على استهداف الجماعات لفئة المراهقين والشباب: نظرًا لكونهم أشد تأثرًا بالعوامل التي ذكرناها سابقًا.

وهناك دراسة أمريكية أجريت على الطبقة الاجتماعية، والعلمية التي ينتمي إليها أفراد

السلام فرجن، قائد تنظيم الجهاد في مصر والمهندس أبو حمزة المصري والمهندس محمد عطا، تخصصوا في علوم عربية ودينية وأصبحوا من المتشددين في تفسير النصوص الدينية في الغالب.

كما وجدت هذه الدراسة أن ٥٠% من الإرهابيين المشمولين بالدراسة تلقوا تربية دينية عندما كانوا صغارًا في السن ومعظمهم من شمال إفريقيا، وأن تسعة منهم فقط تربوا تربية مسيحية قبل أن يعتنقوا الإسلام، وأن ٦٠% ممن شملتهم الدراسة مهنيون والبقية حرفيون وغير حرفيين وغالبيتهم من شمال إفريقيا، وتطرقت الدراسة إلى أن ٧٠% متزوجون، وللغالبية منهم أولاد بالرغم من النظرية التي تقول إن حياة الخطر التي يعيشونها تحتم عليهم عدم تحمل مسؤوليات عائلية وعدم ترك أرامل وأيتام إذا قُتلوا، وأن واحدًا منهم فقط شاذ جنسيًا<sup>(١٧)</sup>.

هذه المعطيات التي قدمتها هذه الدراسة تجعلنا نعيد النظر في تحديد العامل الاقتصادي كأحد الأسباب التي تؤدي إلى التطرف:

إذ جل هؤلاء الإرهابيين من طبقة متوسطة بمعنى طبقة تمكّنهم من ضروريات الحياة، كذلك كونهم يتحملون مسؤولية بناء الأسر تعطي الانطباع نفسه، إلى جانب وجود أفراد

بعض الجماعات، فتوصلت إلى كون أغلب الإرهابيين ينتمون **للطبقة الوسطى** وتلقوا **تعليمًا حديثًا**، وليس دينيًا محضًا، ووجدت هذه الدراسة الميدانية التي شملت ١٥٠ شخصًا مشتبهًا بالإرهاب، أن دوافع الإرهاب معقدة، كما ذكر مارك سيغمان في كتابه فهم شبكة الإرهاب، قام «بعقد حلقات بحث مع المجاهدين الأفغان لمعرفة انتماءاتهم الطبقية، فوجد أن نصف هؤلاء ينتمون إلى منطقة الشرق الأوسط، وبعضهم من شمال إفريقيا، إلى جانب غربيين اعتنقوا الإسلام، وقد تبين له أن أكثر من نصف هؤلاء من الطبقة المتوسطة وثلاثهم من الطبقة الفقيرة، خصوصًا من شمال إفريقيا، وأكثر من ربعهم من الطبقة الغنية، وخاصة من دول الخليج، ومعظم الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام هم من الطبقة الفقيرة أيضًا.

كما وجد أن من بين هؤلاء ١٢ شخصًا يحملون شهادات عليا وأكثر من ٨٠ منهم يحمل شهادة جامعية، وأن الغالبية منهم درسوا في مدارس حديثة، وقليل منهم درس في مدارس دينية، كما أن بعض هؤلاء الإرهابيين من خريجي الجامعات الأوروبية والأمريكية، ولكن الملاحظ أن الدراسة بيّنت أن هؤلاء لم يتعودوا على الحياة في الغرب مثلما تعودوا على الحياة في دولهم الشرقية، وأوضحت الدراسة أن بعض الإرهابيين الذين حصلوا على شهادات جامعية عالية في الهندسة والطب، مثل أيمن الظواهري والمهندس محمد عبد

(١٧) إبراهيم الحيدري، سوسولوجيا العنف والإرهاب، لبنان - بيروت، دار الساقي الطبعة الأولى ٢٠١٥، (ص/٢١٩، ٢٢٠).



من دراسة بعض الشخصيات الإرهابية من خلال زيارات للسجون والمعتقلات والمستشفيات وحتى في المنازل جملَةً من الملاحظات حول الشخصية الإرهابية، تقدم بها ماهر محمود وبتصرف منه في كتابه سيكولوجية العنف والإرهاب وهي:

١- ليس بالضرورة أن يكون كل المجرمين الإرهابيين ينتمون إلى فئة المرضى العقليين أو المنبوذين اجتماعياً أو الذكور دون النساء.

٢- يقوم الإرهابيون بتهديد الضحايا قبل الهجوم، كما بإمكانهم مفاجأة الضحايا دون سابق إنذار حتى لا يحتاطوا لذلك.

٣- لا يشترك الإرهابيون في كل السمات فهناك تشابه في البعض واختلاف في البعض الآخر.

٤- كثير من النظريات التي تناولت تفسير وتحليل الإرهاب، اعتمدت على افتراض أن الشخصية الإرهابية قد تعتبر شاذة ومريضة بناء على التحديد الواضح لخصائصها التي تخضع لتفسيرات الطب النفسي ومختلف فروع علم النفس»<sup>(١٨)</sup>.

وبالتالي فالنتائج التي قدمتها التقارير السوسولوجية والسيكولوجية، تظهر مدى تناسبها مع ما ذكرناه حول حيثيات تأزم الهوية، بل إن تأزم هوية المجتمع الإسلامي

من عائلات ميسورة، وبالتالي سنحصر القول في العامل السياسي والعامل الثقافي (**الثقافة الدينية**)، والعامل الاجتماعي الذي رشحناه منذ البداية المتمثل في اضطراب **المدركات الجماعية** للمجتمع، وأزمة الهوية، ونضيف الآن العامل النفسي لكي يتضح لنا الوجه الحقيقي للتطرف.

## الطبيعية السيكولوجية للفئة المنتمية للجماعات الإرهابية

لعل بداية الدراسة الفعلية سيكولوجية الذات الإرهابية، انطلقت سنة ١٩٧٩، مع صدور كتاب لفريدريك هيكير يهتم بعلم نفس الإرهاب، إذ بعده ظهرت التحليلات النفسية للشخصية الإرهابية، وهذه بعض الآراء التي توصل إليها بعض الباحثين النفسيين:

توصل كزافيي ورافر إلى أن الإرهابي هو شخصية حبسية إحباطاته، أما ماجد موريس فيرى أن هناك ظروفًا مهيأة إما اجتماعية أو بيئية أو تكوينية للشخص ذاته، وأن من سمة الشخصية المشتركة عند جماعة الإرهابيين القيايين نجد التمتع بسمة العظمة المرضية، إضافة إلى سمة الاضطهاد المرضي، وأنهم وراثياً يولدون لوالدين يكون أحدهما على الأقل عنيفاً، قاسياً بالإضافة إلى سمة القوة.

لكن هذه التحليلات التي أتى بها علماء النفس، تناقضت مع التقرير الأمريكي (١٩٩٩)، فخدمة الولايات المتحدة السرية، استخلصت

(١٨) عزيرو سعاد-شرناعي، البروفيل السيكولوجي للفرد الإرهابي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة لوادي، العدد الثالث ديسمبر ٢٠١٣م.

وقد تأثر بهذا التوجه كثير من المسلمين ممن يعتقدون أن للغرب أطماعاً استعمارية جديدة، وأن هذا التنظيم هو النقيض لرجال الدين المسلمين الخاضعين لإملاءات الغرب، وأن جهاد المسلمين هو جهاد دفاعي، لحماية الدين الإسلامي من الصليبيين الجدد، وهذه التوجهات هي توظيف نظريات المؤامرة والترويج لفكرة الضحية من أجل تعبئة أعضائها وخلق التضامن بينهم، وهي الفكرة نفسها القائلة: الغرينة هي نوع من مرض يجب استئصاله بأي ثمن كان.

إن نمط التفكير هذا يساعد في تفسير كيف أن تنظيم الدولة الإسلامية يجرّد الأشخاص من إنسانيتهم إلى الحد الذي يصبح فيه قتل الغربيين شكلاً من أشكال التطهير والتنقية، أي استئصال للمرض كما أن تنظيم الدولة الإسلامية يعمل على إغواء أتباعه للتصديق بأن الأعمال الوحشية التي يقومون بها إنما هي من أجل قضية نبيلة، وقد نجح في تحقيق المواءمة مع قبائل ومناطق سنية واسعة وقعت تحت سيطرته، خصوصاً بعد أن وجد فيها حواضن مهياة لتقبل أفكاره الواعدة، فهو قدم لهم تنازلات عقائدية مؤقتة من أجل تحقيق نجاحات عسكرية ومالية، ولكنه بدأ بفرض قوانينه القاسية على المواطنين هناك بعد أن سيطر على مناطق شاسعة<sup>(١٩)</sup>. وفي نص آخر يقول: من جانب آخر يجب ألا ننظر إلى عقيدة داعش فحسب، فالفراغ

كان **العامل الرئيس في ظهور التطرف**، إلى جانب العوامل المذكورة سابقاً، بل إن هذه النتيجة التي تحدثنا عنها منذ المبحث الأول، يؤكدتها التحليل السوسيولوجي الذي قدمه اريد دافيس عن جماعة داعش، حيث يرى أن التوسع السريع والمذهل لتنظيم الدولة الإسلامية داعش في سوريا والعراق وامتداد هجماته في شمالي العراق ومحاولاته الوصول إلى مدينة أربيل الكردستانية وتقدمه باتجاه حلب السورية، أن لتهديد الإرهابي ما عاد يطول العراق وسوريا فحسب، بل يستهدف ما هو أبعد من ذلك وأنه ينمو بشكل مستمر، كما أن الجهود المستمرة التي تبذلها داعش لشرعنة وتبرير وجوده وتحقيق أهدافه وإصراره على تأسيس خلافة جديدة تجعله الحركة الأكثر بروزاً في القرن الحادي والعشرين إلى الآن.

وفي الوقت الذي لم ينعت تنظيم القاعدة نفسه أبداً بالدولة، وظل تركيزه الأساسي هو مجابهة الغرب، فإن تنظيم الدولة الإسلامية داعش اعتمد تسمية الدولة الإسلامية في العراق، منذ العام ٢٠٠٤، وأنه يسعى إلى خلق أمة-دولة حديثة، وأن هدفه هو حيازة الأراضي في الشرق الأوسط ولا سيما سوريا والعراق، وإن من أولويات استراتيجيته هو تبنيه فكرة وجود عدوان غربي مستمر له جذور تاريخية ضد الإسلام وتوصيف الغربيين بكونهم صليبيين، ومسعاها الأساس هو إلغاء الحدود في الشرق الأوسط التي رسمتها معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦، وإقامة الخلافة الإسلامية.

(١٩) إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقى الطبعة الأولى (د.ن)، (ص/٢٢٠، ٢٢١).

**(٣)** أدت أزمة الهوية الإسلامية إلى اضطراب المدركات الجماعية للمسلمين.

وبالتالي يوصي هذا البحث بحل هذه المسألة، وذلك لا يكون إلا من خلال عملية التربية، لإعادة بناء الهوية الإسلامية، وتحسينها من المؤثرات الخارجية، فالتدقيق في نتائج الدراسات السابقة عن الذات المتطرفة، واستحضار أسس الهوية التي تحدثنا عنها، نجد الإشكالية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي هي إشكالية التربية الاجتماعية، وأقصد بها تمرير مجموعة من القيم والمبادئ والأخلاق التي تؤطر سلوك أفراد مجتمع ما، لإعادة بناء وتوحيد المدركات الجماعية للأمة الإسلامية، أي هذه التربية لن تنطلق من سياسة الدولة وحاجات مجتمعها وأهدافها لبناء منهاجها، وإنما ستنتقل من حاجات الأمة الإسلامية وسياساتها المشتركة وهي حفظ الأمان للدول كافة، وبناء نموذج واحد للفرد المسلم بعيد عن النموذج المذهبي.

والله المعين.

## المراجع

١. محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (د. ن).
٢. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، لبنان بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، د.ن، جزء ١٥.
٣. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

الأيدولوجي في العراق وسوريا في حقبة ما بعد انهيار المشروع القومي العربي بوصفه عقيدة وحدوية علمانية، وكذلك فشل الحركات الإسلامية المعتدلة وعدم وجود عقائد أيديولوجية فاعلة بضمنها غياب الديمقراطية، أدى إلى خلق فضاء أيديولوجي سعى التنظيم إلى ملئه، فضلاً عن ارتباط مشروع الدولة العربية بالفساد وأنظمة الحزب الواحد المعروفة بانتهاك حقوق الإنسان.

فهذا التحليل الذي قدمه عن عقيدة داعش، وعن سبب نجاح استوطانها في بعض الأراضي، يبرز بشكل قوي مدى عمق المشكلة التي يعيشها العالم الإسلامي، بل وضرورة التحرك الجاد لإيجاد حل واقعي ومدروس من جميع جوانبه، وتضافر جهود المختصين المسلمين على رأسهم علماء الدين، لبحث حل لأزمة هذه الهوية.

## خاتمة

من خلال عرض العلاقة الموجودة بين أزمة الهوية الإسلامية والتطرف والإرهاب، توصل البحث إلى النتائج التالية:

- (١) لا يمكن الجزم بوحدة الهوية الإسلامية في ظرف الأحداث التي تعيشها الأمة الإسلامية بعد ظهور الفرق.
- (٢) التطرف والإرهاب كانا نتيجة التصدع الداخلي للأمة الإسلامية، إلى جانب العوامل الأخرى.



١٩٧٩ م.

٤. فاخر عاقل، معجم على النفس، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

٥. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

٦. الشهرستاني، الملل والنحل، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٩٩٢.

٧. سعيد خالد الحسن، مدخل نظرية القيم **(المدرجات الجماعية)**، المغرب مركز الدراسات والأبحاث مؤسسة خالد الحسن مطبعة الكرامة الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

٨. خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

٩. إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقى الطبعة الأولى **(د.ن)**.

١٠. عزيزو سعاد-شرناعي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية - جامعة الوادي العدد الثالث ديسمبر ٢٠١٣ - البروفيل السيكولوجي للفرد الإرهابي.